دور المدرسة في صناعة الهوية الوطنية العراقية

م.د. سحر حربي عبد الامير
المديرية العامة للعلاقات الثقافية

الملخص :

تعمل الدول التي تحرص على استمرار وحدتها الوطنية و قوتها على تقوية الهوية الوطنية لدى مواطنيها من خلال مؤسساتها الحكومية والغير حكومية ، وتعد المدرسة من أهم تلك المؤسسات وأكثرها تأثيرا و خطورة . والعراق بعد تلك الازمات الكثيرة التي عانى منها على مر عقدين من الزمن كان بحاجة ملحة لتقوية وحدته الوطنية وخلق شعور بالهوية الوطنية الجامعة بعد ان تعرضت هذه الهوية الى ضربات قاسية أدت الى تشتتها و تشضيها الى هويات طائفية و قومية بغيضة، جرأت الدول الاخرى على تقديم مشاريع خبيثة مستندة على تلك الهويات الثانوية لتبرير تقسم البلد ودفعه الى الاختفاء من الساحة الدولية

ولهذا جاء البحث ليسلط الضوء في البداية وفي الفصل الثاني تحديدا ،على بعض المصطلحات التي تحتاج الى تعريف الهوية ،والهوية الوطنية ،والمواطنة ،ومفاهيم التربية والتعليم، ليكون القارئ على بينة بها قبل الشروع بالقراءة . ومن ثم جاء الفصل الثالث ليدخل في تفاصيل المدرسة و المواد الدراسية المؤثرة في خلق الهوية الوطنية في ضمير الطلبة بصورة مباشرة وغير مباشرة , وكيف تراجع أداء المدرسة في وظيفة صناعة الهوية الوطنية العراقية وأسباب ذلك التراجع ،مع عرض اوسع لاهمية المدرسة وعلاقتها بسياسة الدولة وما مر به البلد من أحداث . كذلك تفاصيل المواد الدراسية الاكثر تأثيرا في صناعة الهوية الوطنية في ضمير الطلبة ، فمادة التربية البدنية ((الرياضة) ومادة الفنية والرسم ومادة النشيد تعد من المحطات الراسخة في ضمير أي انسان ولاسيما في مراحل الابتدائية ، إذ تعمل تلك المواد على غرس الشعور بالانتماء للوطن وللمواطنين الاخرين و الشعور بجمال شواخص البلد و شواهده الاثرية والتراثية والطبيعية و من خلال اللحن تحبب تلك الكلمات التي ننشدها للوطن لترسخ بالضمير حبه و الولاء له ولمواطنية . وكل ذل يصوغ بهدوء و انتظام الهوية الوطنية مما يصعب في سنين العمر التالية ازالتها او العبث بها.مما يؤدي بالنتيجة الى صعوبة تقبل فكرة التقسيم البغيضة أو الشعور بالدونية أمام الهويات الفرعية الاخرى .

الفصل الاول : الاطار المنهجي للبحث

1- مشكلة البحث

احدى نتائج الاحداث السياسية التي شهدها العراق سواء قبل عام 2003 م ام بعده هو التراجع الملحوظ في الاحساس بالهوية الوطنية العراقية الجامعة لدى الاجيال العراقية الجديدة . وهذا البحث سيركز على تساؤل مفاده لماذا ضعف بشكل كبير اداء المدرسة المدرسة في صناعة الهوية الوطنية و تعزيزها في العراق؟

2- اهمية البحث

ان ادراك الاهمية البالغة لدور المدرسة في صناعة و تقوية الهوية الوطنية العراقية يجعل الجميع (على مستوى صناع القرار او عامة الناس) يهتمون بالمدرسة وملاكاتها التربوية والادارية وبالنتيجة سيؤدي كل هذا الى بث الحياة من جدبد للهوية الوطنية العراق ومدها بعوامل القوة والعافية ، وابعاد شبح تفتيت المجتمع عن العراق. إذ إن احساس الاجيال الجديدة بهويتها الوطنية هو احدى اهم ضمانات الوحدة الوطنية العراقية.

3- اهداف البحث

يهدف البحث إلى ايجاد اسباب عدم تمكن المدرسة من القيام بوظيفتها في صناعة الهوية الوطنية في نفوس النشئ الجديد.

4- منهجية البحث

سيتم الاستعانة بمنهج التحليل النظمي بشكل اساس في هذا البحث ، مع مناهج اخرى بشكل ثانوي مثل المنهج الوصفي والتاريخي.

الفصل الثاني : تحديد المفاهيم

يمثل تحديد مفاهيم المصطلحات العلمية قبل استعمالها ضرورة لازمة لسلامة العمل البحثي الأكاديمي. فغالبا ما يؤدي إهمال تحديد مفاهيم المصطلحات الى الخلط بينها [1]. مما يقود إلى تشويه في فهم الموضوع نفسه. بعبارة أخرى ان عدم تكوين صورة واضحة عن المفاهيم المستعملة أنما يؤدي إلى صعوبة تكوين صورة واضحة عن موضع البحث نفسه. إذ "يشكل تحديد المفاهيم والتعاريف...العصب الذي يُفسّر أبعاد الظاهرة, والإلمام بكل تشعباتها وفروعها"[2].

([1]) لقد تم اقتباس الفكرة العامة من د.عامر حسن فياض، الثقافة السياسية ومشكلة الديمقراطية في الوطن العربي، آفاق عربية، آذار، 1992، ص 28.

([2]) أمل محمد معطي، التنشئة والتحولات الاجتماعية: أنموذج ميداني عن منظمة الطلائع في القطر العربي السوري، رسالة ماجستير، شعبة علم الاجتماع، قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1987-1988، ص 95.

وبداية لابد من توضيح إن مفاهيم "الهوية" و"الهوية الوطنية" وغيرها تتضمن الكثير من التعقيدات والعديد من المعاني التي تبارى الباحثون في تحديد معانيها ضمن اطار الدراسات الاجتماعية . وفي هذا البحث سنقتصر على ذكر التعاريف التي تصب في تحقيق اهداف هذا البحث و بشكل مبسط و واضح.

1- الهوية

تعرف (الهوية) بأنها إحساس الفرد أو الجماعة بالذات ، اي انها نتيجة الوعي بالذات، و " بأنني أنا أو نحن" نمتلك خصائص مميزة ككينونة تميزني عنك وتميزنا عنهم[3]. فالطفل المولود قد يمتلك عناصر هوية ما عند ولادته لها علاقة مع اسمه وجنسه وابوته وامومته ومواطنيته، وهذه الاشياء في كل حال لا تصبح جزءاً من هويته حتى يعيها الطفل ويعرف نفسه بها"[4].

بينما يقدم اليكسي ميكشيللي تعريف اخر لمفهوم الهوية فهي بالنسبة له " منظومة من المعطيات الاجتماعية والمادية والمعنوية، والتي تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفية، ولكن لا يمكن لمثل هذه المنظومة ان تكون في حيز الوجود ما لم يكن هناك دافع ما يعطيها وحدتها ومعناها، ويتمثل ذلك في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الاحساس بالهوية والشعور بها"[5].

والهوية ذات طبيعة مركبة، لانها تحتوي على مجموعة من العناصر، يكون العديد منها مشتركاً بينها وبين الهوية او الهويات الاخرى التي يحملها الانسان الذي يحمل هويته الانسانية في مقابل هوية الكائنات الاخرى الحيوانية والنباتية، وهو في اطار هويته الانسانية يحمل هوية ذكرية، او انثوية، او مركبة، وهو يحمل هوية اخرى جغرافية، ورابعة عرقية او قومية، وخامسة سياسية، وسابعة عقائدية- دينية- مذهبية، وثامنة طبقية ..الخ[6].

---

(3) صموئيل ب. هنتنغتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، ترجمة: حسام الدين خضور، ط1، دار الرأي للنشر، دمشق، 2005، ص37.

(4) - حبيب صالح مهدي، دراسة في مفهوم الهوية، مجلة دراسات اقليمية، العدد (13)، الموصل، مركز الدراسات الاقليمية، 2009، ص224.

(5) اليكسي ميكشللي، الهوية، ترجمة: علي وطفة، ط1، دار الرسيم للخدمات الطباعية، سوريا، 1993، ص169.

(6) د.علي عباس مراد، اشكالية الهوية في العراق..الاصول والحلول، (الندوة العلمية لجامعة بغداد – التعليم وتعزيز الهوية الوطنية في العراق)، 17 شباط 2010، ص13-14.

وهناك تداخلا كبيرا بين مفهومي (الهوية) ومفهوم (الثقافة). إذ يصف بعض العلماء الهوية بانها التجلي العملي لما يعرف بالثقافة.[7] لان الثقافة بما تحتويه من عادات وتقاليد و نظم إجتماعية وطرق حياة ودين وتاريخ وتراث وغير ذلك تعد جزءاً محورياً في بناء و صياغة الهوية. [8]

ونلاحظ كيف تركز كل هذه التعاريف على الجانب النفسي والشعوري، واذا جاز لنا ان نرسم صورة لكل هذه المفاهيم فستكون صورة ذات وجهين لا انفصال بينهما الاول مادي ملموس والاخر نفسي حسي . المادي يستند على ما يملكه الانسان من مواصفات حال ولادته مثل اسمه وجنسه وابوته وامومته ومواطنيته. اما الجانب النفسي فيستند على الاحساس بكل هذه المواصفات من عدمه.

ويمكن ارجاع مفهوم الهوية الى مجموعتين من العناصر: المجموعة الاولى هي العناصر الطبيعية، والموروثة، والثابتة، كالشكل واللون الجسمانيين.و المجموعة الثانية تتمثل بالعناصر الاجتماعية المكتسبة والمتغيرة كالاقليم، واللغة والمعتقد، واشكال السلوك[9]

ولكن الانسان ليس كائناً احادي الهوية، بل هو كائن متعدد الهويات ، الا ان تعدد هوياته وتنوعها لا يمنعه من تفضيل احداها على الاخرى، ويرتبط هذا التفضيل بما يعتقده الانسان انه التحدي الاكبر له، والذي يفضل مواجهته بالتركيز على احدى هوياته دون غيرها [10]

2- الهوية الوطنية:

تعني الهوية الوطنية حب الفرد، واخلاصه لوطنه، الذي يشمل الانتماء الى الارض، والناس، والعادات والتقاليد، والفخر بالتاريخ، والتفاني في خدمة الوطن. ويعني ابضا الشعور الجمعي الذي يربط بين ابناء الجماعة. وقد عرف هذا المصطلح على انه التعبير الصادق عن الانتماء للوطن بالقول والعمل، والاسهام الفعال في الدفاع عن الوطن ضد اية تحديات خارجية، والاسهام في تقدمه ورفعته واعلاء شأنه بين الاوطان، وعليه فان مقياس الوطنية هو مقدار الرصيد الوطني الذي يسجله كل مواطن من اجل الوطن، بمعنى ان الفرد لا يكتسب الوطنية الا بالعمل لصالح الوطن والجماعة معاً، فالوطنية مفهوم مبني

(7) علي طاهر الحمود ، العراق من صدمة الهوية الى صحوة الهويات، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والاعلامية، ط1، بغداد – بيروت، 2012، ص21.

(8) سامي أبراهيم الخزندار ، إدارة الصراعات و فض المنازعات: إطار نظري،(مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة – قطر، الطبعة الإولى ، 2014)، ص181 .

(9) سعدي الابراهيم ، الفدرالية والهوية الوطنية العراقية ، بغداد ، دار الكتب العلمية، 2014.، ص 32.

(10) د.علي عباس مراد، مصدر سبق ذكره ، ص13-14.

على واقع معين، وهذا الواقع هو الدولة القطرية، التي يرتبط فيها الناس بعضهم ببعض برابط الوطنية او المواطنة بغض النظر عن معتقداتهم ومللهم وافكارهم ووجهات نظرهم في الحياة[11].الا انه يجب ان لا يتفوق الولاء للهويات الثانوية (الانتماءات المتعددة عرقية، او دينية، او سياسية او غيرها) على الولاء للوطن لضمان الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي[12].

ويلخص الفرنسي (رولان برتون) الى أن الهوية الوطنية ترتبط بشكل اساسي بالأحاسيس والمشاعر التي يكنها الناس الى بعضهم البعض من خلال عيشهم المشترك على أرض جغرافية محددة، ورغبتهم في انشاء نظام سياسي واحد، وقد تكون الايديولوجيات الدينية او العرقية المشتركة – بحسب برتون – تأثير مكمل للهوية الوطنية على أعتبار أن هذه الايديولوجيات أو التوجهات تُعمق المشاعر وتعزز المشتركات التي تميز الامم[13].

والهوية الوطنية كما تذكر (اسراء علاء الدين نوري): هي إشكالية ذهنية أكثر من كونها واقعاً ملموساً، وهي آلية من آليات الدفاع الجمعي، وليس الفردي، تتحرك للعمل في حالات عدم القدرة على الفعل، او التعاطي مع الآخر بشكل أعتيادي وطبيعي، او حين ينتابها إحباط ونكوص فتعجز عن اقامة التوازن بين الأنا والآخر، وبخاصة في أوقات التحديات المصيرية كالحروب، والكوارث، والازمات الثقافية، وعندما تتعرض أية هوية الى تحديات وردود أفعال يبدأ هاجس الخوف عليها ويبدأ الحديث عن أزمة الهوية [14].

وهناك أربعة عوامل أساسية تتشكل على اساسها الهوية الوطنية[15]:

1. عوامل اولية: مثل اللغة والدين والادب والاساطير، ومثال ذلك اللغة والعرق التي كانت عوامل اساسية في صنع الهوية والوطنية الألمانية.
2. عوامل تكوينية: مثل بناء الدولة والجيش والاتفاق على دستور دائم، ومثال ذلك الولايات المتحدة الامريكية التي بُنيت هويتها الوطنية على اساس دستور كَتَبهُ الاباء

(11) حسن فيصل الخالدي، في معنى الهوية، شبكة الانترنت:
http://www.alukah.net/Culture/0/35514/#ixzz1pUhtTnP2

(12) - ندى عبد المجيد الانصاري، سياسة التعليم لتعزيز الهوية الوطنية في العراق، الندوة العلمية لجامعة بغداد، 17 شباط 2010، ص37.

(13)علي طاهر الحمود، مصدر سبق ذكره، ص34.

(14)اسراء علاء الدين نوري، الاسباب الداخلية لازمة الهوية الوطنية في العراق، مجلة شؤون عراقية، العدد (4)، بغداد : مركز الدراسات القانونية والسياسية، 2009، ص26.

(15) علي طاهر الحمود، مصدر سبق ذكره ، ص35.

المؤسسون وكانت الوثيقة وما تزال العنصر الاساس في تعريف الهوية الوطنية الامريكية.

3. عوامل تلقينية: مثل التعليم، ومثال على ذلك هو تأثير مناهج التعليم في اليابان التي أضحت مثار أهتمام العديد من الدول منذ عقود لتأثيرها الفاعل والناجح في حب الوطن والتضحية من اجله، كما ان العديد من دول العالم تستعمل المناهج التعليمية التي تعمل على تربية اجيال ضمن توجهات محددة لغرس ثقافة هوياتها الوطنية.
4. عوامل خارجية: مثل التهديدات الخارجية، وتعد (اسرائيل) مثال واضح على دولة بنت هويتها الوطنية على اساس الخوف من التهديد الخارجي الذي يحيط بها.

3- المواطنة:

تعتمد الهوية الوطنية على بناء سياسي يُعرف بـــ (الدولة) حين يفرض على مواطني تلك الدولة حمل هويتها الوطنية. [16] وهذا يؤدي بنا الى مصطلح آخر الا وهو مصطلح (**المواطنة**) الذي ظهر بعد ان اضافت نشأة الكيانات السياسية (الدول) بعداً سياسياً الى الهوية ، بما جعل منها هوية اجتماعية – سياسية في آن واحد [17]. وتعود اصول هذا الارتباط بين الهوية الوطنية والمواطنة الى نظام دولة المدينة اليونانية، الذي تأسس فيه استحقاق الفرد لصفة المواطنة، على اشتراكه مع افراد اخرين في مجموعة السمات التي تؤهلهم لحمل هوية واحدة مشتركة، بما يجعل منهم مواطنين في تلك الدولة، ثم اعيد انتاج مفاهيم الوطن، والمواطنة، والهوية الوطنية السياسية، بصيغ جديدة تناسب ومقتضيات نشأة الدولة الحديثة في اوربا منذ القرن الثامن عشر، وعليه فان اختلاف مضمون مفاهيم المواطنة، والهوية، لا يمنع من ارتباطها ببعضها الى الحد الذي يجعل من المواطنة اليوم معنى شاملاً لمفهوم قديم بشكل حديث، عرفته مختلف الحضارات الانسانية، ولو بأشكال متنوعة، وساهمت في ترسيخه في العقل البشري عوامل كثيرة، كاللغة، والدين، والثقافة الاجتماعية، والقيم التي هي من العناصر التي تتحدد الهوية على اساسها واستناداً اليها[18].

(16) علي طاهر الحمود ، مصدر سبق ذكره، ص33.

(17) عبد الله السيد ولد اباه، المواطنة في عصر ما بعد الدولة الوطنية، مفهوم المواطنة الدستورية لدى هابرماس، مجلة التسامح (مسقط9، العدد 20، خريف 2007، ص43.

(18) د.علي عباس مراد، مصدر سبق ذكره ، ص14-15. وجعفر الشيخ ادريس، في الهوية والمواطنة، مجلة البيان، العدد 211، نيسان ابريل 2005، ص66.

وهذا يعني اننا اليوم عندما نتحدث عن الهوية الوطنية فاننا نتحدث عن المواطنة في جانبها الحسي وعندما نتحدث عن المواطنة فاننا نتحدث عن الهوية الوطنية في جانبها السياسي العملي

يستند مفهوم المواطنة في القرن الحادي والعشرين على ثلاثة اسس هي :واقع الدولة، الشعور، و التدريب . ويقصد بواقع الدولة هنا ان الدولة بصورة عامة يجب ان تسعى لحماية المواطنين من خلال القوانين والشرطة و توفر لهم مجموعة من الخدمات والمنافع مثل التعليم والصحة ونظام لتحقيق العدالة ، وبالمقابل يساهم المواطنين في تحقيق ذلك من خلال دفع الضرائب والخدمة العسكرية و جلب العملة الصعبة والمعادن الثمين كالذهب والجواهر .اما الشعور فهو الاحساس بالانتماء الكامل الى المجتمع من دون ان يمنع ذلك وجود انتماءات ثانوية الا انها تعيش ضمن اطار الانتماء الوطني الواحد. و التدريب يقصد به عملية استدامة للحفاظ على المنافع و الشعور بالروح الوطنية او المواطنة.[19]

وهكذا فان الهوية الوطنية والمواطنة ليست معطى جاهزاً ونهائياً، وانما هي عمل يجب اكماله دائماً و واستمرار التغيير هو صفة من صفات وليس الثبات، والتفاعل بحكم علاقة الانسان بالاخر، وليس الانعزال، ولا يتعلق الامر بالقضايا السياسية حسب – بما فيها المواطنة وحقوقها– بل تشمل الجانب الثقافي ايضا، والهوية الوطنية معطى مرتبط بالماضي والمستقبل وبالارض والتاريخ والجغرافية (الزمان والمكان)، مثل علاقتها بالثقافة المشتركة السائدة في الامة، واخيرا علاقتها بالكيان القانوني بوحدة الوطن والامة[20].

4- التربية

يثير معنى التربية الكثير من الاختلاف في وجهات النظر بين المربين وعلماء الاجتماع .فمنهم من يرى ان التربية وسيلة رئيسة من وسائل السيطرة الاجتماعية التي يملكها المجتمع ، ويمكن مقارنتها بأدوات القسر المباشر التي توجد في حوزة أي مجتمع ، وكل الاختلاف بين التربية و بين هذه الادوات القسرية هو ان التربية تستعمل لكبت الظواهر السلوكية غير المرغوب فيها اجتماعياً ومنع وقوعها ، في حين ان اجهزة القسر

(19) Clive Belgeonne . Rob Unwind and Helen Griffin , Core skills for learning work and society , What is education for citizenship?, British Council ,2016/G139,p17-19.

(20) - عبد الحسين شعبان، عبد الحسين شعبان ، المسيحيون: ملح العرب التغيير والمواطنة والتنوع الثقافي، ضفاف، بيروت ، 2013.، ص 64-1111.

الاخرى تتولى قمع تلك الظواهر بعد استفحالها [21]. بينما ينظر الاخرون الى التربية على انها اداة المجتمع لتحقيق الوفاق الاجتماعي . أو على انها عملية دمج ثقافي و تكييف واع او غير واع تتحقق من خلال العملية التعليمية. [22]

ومن المهم أن نذكر هنا إن النظام السياسي يتأثر بالتربية كما تتاثر التربية بالسياسة ، ذلك لان نفوذ العقيدة السياسية السائدة او المسيطرة يصبغ شتى مناحي الحياة الاجتماعية وانشطتها بما في ذلك الرياضة ،ذلك لكونها نظما اجتماعية في نسق اجتماعي واحد. فالتعليم من اهم موارد الاستنارة السياسية ، ومن خلاله يتعرف المواطن على حقوقه و واجباته السياسية[23] .

ومن مجموعة التعاريف السابقة والمصطلحات التي اجتهدنا في تلخيصها نعتقد ان وجود الهوية الوطنية لا يتعارض مع وجود هويات اخرى للفرد او للجماعة كون ذلك هو من صميم الطبيعة البشرية المتنوعة الا انه لا يجب ان تعلو الهويات الاخرى على الهوية الوطنية التي لابد لها ان تحتفظ بسموها وعلويتها على بقية الهويات الثانوية وذلك لضمان الاستقرار المادي والمعنوي للمجتمع السياسي (الشعب) بغض النظر عن الظروف التي تكونت بها الهوية الوطنية ، وان للدولة الدور الاساس في تشكيلها والمحافظة عليها من خلال مؤسساتها المتعددة التي تتعامل بها مع جميع افراد الشعب ، من اقوى هذه المؤسسات واشدها تأثيرا هي التربية . وهذا ما سنبحث به في الفصل الثالث.

الفصل الثالث: المدرسة الفضاء الاوسع لبناء الهوية الوطنية

أولا: الدولة والتعليم

كما سبق و ان ذكرنا في الفصل السابق للدولة الدور الاساس في تشكيل الهوية الوطنية، اذ ان مشاعر الولاء التي كان يحس بها الافراد في الماضي نحو العائلة او الجماعة الدينية او المذهبية او القومية يجب ان تنتقل لصالح الدولة، وعلى الدولة ان تكتسب سلطة معنوية تستطيع ان تسند بها بنيتها المؤسساتية وتفوقها النظري الشرعي، بحيث تجعل المواطنين يعطون الاولوية لمصالح الدولة ويعتبرون حياتها هي الخير

(21) د. محمد جواد رضا ، العرب والتربية الحضارية دراسة في الفكر التربوي المقارن ، الكويت ، مكتبة المنهل ,ط1،1979،ص29-30

(22) د محمد جواد رضا ، المصدر السابق نفسه ، ص32.

(23) امين الخولي، الرياضة والمجتمع ، مهرجان القراءة للجميع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جمهورية مصر العربية، 2002، ص122.

الاجتماعي الأعلى، و توصف هذه الحالة بالنزعة الوطنية. ويمكن للدولة تحقيق ذلك بطرق عدة من أهمها [24] :

1- التعليم: يقوم التعليم بمهام كثيرة من بينها تهيئة الفرد في المجتمع للقيام بعمله وصياغة ثقافة موحدة لدى أفراد من مختلف التكوينات الاجتماعية، وهذه الثقافة تنمي فيهم الانتماء والولاء لتاريخهم وارضهم وحضارتهم المشتركة.

2- الجيش: في الدول الحديثة تبدو المؤسسة العسكرية عادة أداة لصهر التكوينات المختلفة في ثقافة واحدة ، ولاسيما اذا ما كان الجيش مبنيا على عقيدة وطنية سليمة، فعندما يضحي الانسان العسكري بروحه من اجل المحافظة على استقلال وسلامة بلده و يكون هنا قد عبر عن اعلى درجات الولاء والانتماء للوطن ككل بمختلف مكوناته القومية والدينية، اي بما معناه عبر عن هويته الوطنية .

وكما اسلفنا في الفصل الثاني اغلب ان لم نقل جميع التعاريف التي شملت مصطلح (الهوية) او (الهوية الوطنية) او (الثقافة) تحمل جانبا نفسيا و حسيا قابلا للتغيير بحسب الظروف المحيطة بالفرد أو الجماعة ، وهذه الصفة تحمل على القلق ولا سيما عند تعرض المجتمع الى تغيرات كبيرة وتحولات حادة ، و الدول التي ترغب في الحفاظ على الهوية الوطنية لبلدانها و ضمان الولاء الوطني لمواطنيها تستعمل بذكاء وحرفية مؤسسات التربية والتعليم والجيش للحفاظ على تلك الهوية الوطنية و تلافي خطورة اضعافها أو تحولها بإتجاه الهويات الفرعية او تقويتها . و بما ان الجيش ليس هو مجال اختصاصنا لذا سنتناول مؤسسة التربية والتعليم وتحديدا المدرسة و دورها في بناء او تقوية الهوية الوطنية والاحساس بها لدى الشعب. ومن الجدير بالذكر هنا ان وقت ولادة الدولة الحديثة التي خرجت من اتون الثورة الفرنسية و الحربين العالميتين لم تمتلك غالبية شعوبها صفات الهوية الوطنية ، إذ رسمت خطوط الحدود السياسية لاسباب قد تكون بعيدة كل البعد عن الهويات التي يعتنقها سكان الدولة الحديثة من لغة و دين وقرابة . على سبيل المثال ، إن الدولة القومية الأوربية الأولى التي نعد شعوبها اليوم مثالا للاحساس العالي بالهوية الوطنية لم يكن لديها الكثير من المشتركات الوطنية .

ففي عام 1789م كان نصف سكان فرنسا ناطقين بالفرنسية ،إلا أنّ 13.12% منهم فقط يتحدثون بها بصورة صحيحة أما الباقون فكانوا يتحدثون أنواعاً شتى من اللهجات العامية

[24] علي وتوت، في سؤال الهوية ..عراق واحد عن اي جنون نتحدث ؟، مصدر سابق، ص ص31-32.وعبد اللطيف احمد رشيد، التجنيد والخدمة الالزامية دليل للمواطنة الصادقة، مجلة نداء الحرية، العدد(3)، بغداد : مركز نداء الحرية للتطوير والتنمية البشرية، 2007، ص ص170-171.

المحلية ، ويوم توحدت ايطاليا عام 1860م كان 2.5% فقط من السكان يتحدثون الإيطالية في تعاملهم اليومي ، بل إنّ بعض أبرز القادة القوميين لم يتقنوا اللغة القومية.[25]

الا ان الدول الاوربية هذه عملت على استعمال اجهزتها التنفيذية كالجيش والشرطة والمؤسسات التعليمية والمؤسسات الخدمية الاخرى ، واجهزتها التشريعية متمثلة بالقوانين والتشريعات شد مواطنيها بعضهم لبعض و صناعة مشتركات وطنية لم تكن موجودة في السابق (من بينها اللغة الواحدة) و هوية وطنية موحدة وقوية عابرة للانتماءات الاخرى .

ولقد كشفت احدى الدراسات التي اجريت في مطلع السبعينيات من القرن العشرين ,عن انه من بين 132 دولة مستقلة في العالم "في تلك الفترة" لا توجد سوى 12 دولة تتمتع بالتجانس الثقافي , بينما تتراوح درجة التعدد الثقافي بين 10 الى 50 بالمئة فيما تبقى من دول ,و انه من النادر جداً ان نجد دولاً متجانسة تماما من الناحية اللغوية أوالدينية او القومية وغير ذلك ,باستثناء دولتي كوريا الشمالية والجنوبية ,اللتين تتمتعان بتجانس كامل 100% ,وبعض الامثلة النادرة الاخرى ,اما القاعدة فان معظم دول العالم تعاني من وجود مشكلات نابعة من وجود الاقليات او تعدد الجماعات الإثنية .[26]

وبعد هذا الاستعراض الصغير لوضع دول العالم سنقوم الان باستعراض تلك المؤسسة التعليمية الاكثر شهرة والاكبر تأثيرا الا وهي المدرسة...

ثانيا : المدرسة

المدرسة بحسب اميل دور كايم هي الجهاز المنظم لسير التربية العامة . لذا فان اهتمامنا يجب ان ينحصر فيها على الخصوص.[27] ولاسيما كونها تواكب الانسان طوال سنوات حياته الاولى التي يركز على اهميتها علماء النفس الفرويدي لدوام تأثير خبراتها في شخصيته وسلوكه, ومستقبل حياته[28] , و إن سوء طباع اكثر الناس إنما تعود لاسباب تتعلق بعادات الصبا، إذا لم يتم تأديبهم واصلاح اخلاقهم في سنوات الطفولة[29] . فالتعليم

---

[25] مارتن فان بروينسن ، الأكراد وبناء الأمة ، ترجمة فالح عبد الجبار ، (العراق –بغداد، معهد الدراسات الإستاتيجية ، الطبعة الأولى ، 2006) ، ص13 .

[26] د. عبد السلام ابراهيم البغدادي , الوحدة الوطنية و مشكلة الاقليات في افريقيا , (بيروت- لبنان , مركز دراسات الوحدة العربية , ط 2 ، 2000), ص18 - 19 .

[27] اميل دور كايم ، التربية الاخلاقية ، ترجمة السيد محمد بدوي، مراجعة علي عبد الواحد وافي، تقديم محمد الجوهري،(مصر- القاهرة، المركز القومي للترجمة،سلسلة ميراث الترجمة، العدد1886،2015)، ص6.

[28] ميل دور كايم، المصدر السابق نفسه ، ص 12.

[29] المصدر السابق نفسه ، ص 5، 187.

ليس مجرد مهنة كبقية المهن بل مهنة معرفية،و المعلم مُرسل للمعلومة وُمرسل للسلوك ايضا.

إن المدرسة وحدة إجتماعية لها جوها الخاص الذي يساعد بدرجة كبيرة على تشكيل أحساس الطالب بالفاعلية الشخصية ، وفي تحديد نظرته إتجاه البناء الاجتماعي القائم ، وهي تشكل الخبرة الاولى المباشرة للانسان خارج نطاق الاسرة ،و تتولى المدرسة غرس القيم والإتجاهات السياسية التي يبتغيها النظام السياسي بصورة مقصودة من خلال المناهج والكتب الدراسية والأنشطة المختلفة التي ينخرط فيها الطلاب، وليس بصورة تلقائية كما هو الحال في الأسرة أو المؤسسات الأخرى.[30]

وهناك طوران للطفولة :الطور الاول هو الذي يقضيه الطفل برمته في الاسرة او في روضة الاطفال التي تقوم مقام الاسرة . اما الطور الثاني فان الطفل يقضيه في المدرسة الاولية حيث يبدأ في الخروج من دائرة الاسرة و يتلقن مبادئ الحياة الاجتماعية التي تحيط به . و تسمى هذه المرحلة مرحلة الطفولة الثانية ، وهي فترة دقيقة في تكوين الطابع الخلقي للانسان، يتحتم علينا تلقينه خلالها مبادئ الاخلاق والا تعذر علينا ذلك فيما بعد. وهنا يظهر دور المدرسة كأداة للتربية والتعليم معا . ومن بين ما يتعلمه الانسان في المدرسة الاخلاق و حب الوطن والشعور بالوطنية أو الهوية الوطنية.[31]

إن إيجاد الرغبة في العيش المشترك لا يتحقق إلا بغرس القيم الوطنية ، ولكي لا تبقى هذه القيم حبراً على ورق يجب على المؤسسات التربوية والتعليمية أن تؤصل في عقول الناس، ولاسيما النشئ الجديد ، و تعليمهم الدفاع عن قيم الوطنية و قدسيتها، وعلى هذه المؤسسات أن تعمل ايضاً على تحقيق الاتساق والتكامل بين الإثنيات المتنوعة في المجتمع.[32]

المدرسة مؤسسة من مؤسسات الدولة يتم فيها تدعيم مبادئ السلوك القويم وربط الفرد بمجتمعه و رفع شعوره بالولاء والانتماء اليه ، وتوفير المعارف الأساسية للطلاب لأدراك مكانة دولتهم وعلاقتها بالعالم الخارجي وأدراك وتقدير كفاح الأجيال السابقة والوعي بالمشكلات الرئيسة التي تواجه مجتمعهم .[33]

---

[30] د. ابراهيم علاء الدين الشريف، أيديولوجية المواطنة ، عمان- الأردن، دار غيداء للطباعة والنشر، 2017،ص212-213.

[31] اميل دور كايم ،مصدر سبق ذكره ، ص18-19.

[32] علي اسعد وطفة ، التربية إزاء التحديات / التعصب والعنف في العالم العربي ، (دولة الامارات العربية المتحدة، - ابو ظبي، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط1،2002) ص102- 103.

[33] د. ابراهيم علاء الدين الشريف، مصدر سبق ذكره ، ص 247-248.

ولقد أدى تسلل الفساد إلى المؤسسات التعليمية العراقية في بداية التسعينيات من القرن العشرين الى نتائج كارثية . والنظام التعليمي بكل منجزاته التي تحققت في الستينيات من القرن العشرين كان أول ضحايا الأزمات المتعاقبة التي شهدها العراق منذ أن دخل الحرب العراقية – الإيرانية، وخرج منها إلى نفق إحتلال الكويت ، وما تبع ذلك من حصار وحرب حتى عام 2003م. و هذه الأزمات تسببت في تراجع ظروف شريحة المعلمين والمدرسين على نحو أنعكس على أدائهم ، وحدّ من قدراتهم ،و أضطر كثيراً منهم ترك التعليم أو ممارسة مهنة أخرى معه ، أو للهجرة ، فيما إضطر البعض الآخر إلى التغاضي عن قدسية دوره فأصبح جزءاً من الخلل ، وليس أداة للحل والتغيير الإيجابي في النشأ الجديد. وعلى الرغم من تحسن الأوضاع المعاشية للمعلمين والمدرسين من خلال زيادة مرتباتهم بعد نيسان 2003م ،إلا الملاحظ إنّ ذلك لم يشكل حافزاً للعطاء بشكل واضح .[34]

بمعنى ان الكوادر التربوية تراجع وعيها باهمية دورها في بناء شخصية الطفل بكل ما تعنيه من قيم و اخلاقيات و احساس بالهوية الوطنية، وهذا الوعي لم يصلح من حاله اصلاح الوضع الاقتصادي للمعلمين، إذ إن ذلك الاصلاح بحاجة الى جملة من التدابير الثقافية والمجتمعية التي يجب ان تطبق على المعلمين اولا قبل تطبيقها على التلاميذ الصغار لإن فاقد الشيء لا يعطيه.

ولقد بادرت وزارة التربية إلى وضع خطة استراتيجية لإصلاح و تطوير المناهج الدراسية على وفق معايير عالمية ضمن الإستراتيجية الوطنية للتربية والتعليم العالي للمدة 2010م – 2020م ، مع الأخذ بنظر الاعتبار خصوصية المجتمع العراقي وما عاناه من أزمات و تحديات خطيرة ، وإعداد دراسة مقارنة وتحليلية لمحتوى الكتب الدراسية الحالية في ضوء معيار الهوية الوطنية وعلى الرغم من قيام المديرية العامة للمناهج في وزارة التربية بتعديلات جوهرية على مفردات مادة التربية الوطنية والإجتماعية، ولمختلف السنوات الدراسية ، والتي تضمنت التعريف بالدستور العراقي الجديد لعام 2005م ، ومجالس المحافظات ، والديمقراطية، والحريات، وكذلك تعريف الوطن والمواطنة، وواجبات المواطن تجاه الوطن، ورعاية الدولة للمواطنين،وهي عناوين تدخل لأول مرة في مناهج التربية الوطنية وتهدف بلا شك إلى توعية الطلبة بأهمية المواطنة للفرد و ما

[34]المشروع الإستراتيجي التعليم في العراق ، المشرف العام د. شمران العجيلي، أعداد د. كريم محمد حمزة،(العراق - بغداد ، بيت الحكمة ، الطبعة الأولى ،2011)، ص 16 - 17.

يرتبط بها من حقوق وواجبات على المواطن أن يؤديها كاملاً ، حتى يصبح فاعلاً و مشاركاً في بناء حاضر و مستقبل وطنه.[35]

الا ان تغيير المناهج لم يواكبه تغيير في ادراك المعلم ووعيه بدوره الكبير في صناعة الهوية الوطنية العراقية ، بل استمرت المبادرات الفردية في هذا المجال والتي لا تجاري حجم تهديد الهوية الوطنية العراقية من قبل الهويات الثانوية التي عظم تأثيرها و قويت شوكتها بتلك الظروف التي سبقت و تلت نيسان عام 2003 .

فلم يعد هناك لغة مشتركة تدرس في جميع مدارس العراق بل اصبحت كل منطقة جغرافية تدرس باللغة الغالبة فيها و لاسيما في المناطق ذات الغالبية الكوردية أو التركمانية من دون الالتزام بتعليم لغة مشتركة وكما هو الحال في جميع الدول الفدرالية او التي تتبع اللامركزية الادارية ، وهذا الامر اضعف عنصر وجود لغة مشتركة كما كان في السابق الا وهي اللغة العربية التي استندت على وجود قانون يلزم المدارس التي تدرس فيها المواد الدراسية بغير اللغة العربية بتدريس مادة اللغة العربية –كونها اللغة الوطنية المشتركة لدولة العراق – ولاسيما مدارس المحافظات الموجودة ضمن حدود إقليم كوردسان.[36] إذ يعدّ وجود لغة وطنية تُدرس في جميع انحاء البلاد أمراً مهماً جداً لخلق قيم مشتركة بين المواطنين، ولبناء دولة مواطنة من دون تجاوز اللغات المحلية. ومن المضحك المبكي ان الجيل الجديد من العراقيين الكورد لا يعرفون اللغة العربية بل هم يتكلمون اللغة العربية في بضع كلمات باللهجة اللبنانية او المصرية بحسب تأثير المسلسلات اللبنانية والمصرية.

وقد أوجز التربوي الامريكي فريدنبرج الوضائف الاجتماعية للتربية بما يأتي[37]:

- نقل ثقافة المجتمع عبر الاجيال
- مساعدة الفرد على اختيار الادوارالاجتماعية و تعليمه ادواتها
- احداث تكامل بين الثقافة العامة والثقافات الفرعية داخل المجتمع
- مصدر مهم لعمليات التحديث الثقافي والاجتماعي.

والمدرسة هي احدى ادوات دولة المستقبل ، ومجتمع المستقبل ،فاذا لم تكن لدى الدولة رؤية واضحة للاجابة عن الاسئلة التي يطرحها الجيل الجديد والمتجسدة بالاسئلة الثلاثة

---

[35]فلاح حسن الأسدي ، أثر المناهج التربوية في تعزيز قيمة المواطنة و تشكيل الهوية الوطنية العراقية ، في مؤتمر بيت الحكمة العلمي السنوي ؛بناء الدولة، (العراق - بغداد ، بيت الحكمة ، 18 - 19 كانون الثاني ،2012، ص111 - 115.

[36]لقاء مع الدكتور مجيد صادق العلاق مدير عام المناهج في وزارة التربية ، 2015/9/1.

[37]امين الخولي، الرياضة والمجتمع ، مهرجان القراءة للجميع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جمهورية مصر العربية، 2002، ص144-145 .

الاكثر الحاحا :(من نكون ؟ اين نحن الان؟ الى اين نريد ان نصل؟) فلن تستطيع اي حكومة دولة مهما كانت فاعلة ان تحقق شيئا يذكر وذلك لعدم وضوح المخرج النهائي المتوقع . لذلك على الدولة التي تفكر في تعليم جيد و تسعى لتحقيق مدرسة المستقبل ان تحسم وضوع هويتها ،و واقعها و رؤيتها المستقبلية ،لكي تتمكن المدرسة من الاسهام بشكل فاعل في تحقيق تلك الرؤية . [38]

إن أهم مرحلة لبناء (الهوية الوطنية)و(المواطنة الفاعلة) هي مرحلة الطفولة والنشوء التي تجعل الشخص يعيش المواطنة فكرةً و وجداناً ، والسبب يعود الى ان هذه القيم لم تحتل وجدانهم منذ الصغر بحيث يشعرون انها الاصل بالنسبة لوجودهم وان قيمتهم وعزهم يكون بالتضحية للوطن فضلاً عن بذل الطاقة لخدمته.ولأجل بناء المواطنة او الهوية الوطنية من خلال المؤسسة التعليمية (المدرسة) لابد من وجود منهج مدروس و تأهيل المعلمين والتركيز على أنشطة المدرسة غير الصفية.[39]

وهناك أسباب عدة تجعل للمدرسة دوراً مهماً في تقوية الهوية الوطنية لدى التلاميذ يمكن إيجازها بما يأتي[40] :

- إن المدرسة تمثل بنية إجتماعية و وسطاً ثقافياً له تقاليده واهدافه و فلسفته و قوانينه التي و ضعت لتتماشى و تتفق مع مع ثقافة وأهداف و فلسفة المجتمع الكبير .
- إن المقررات الدراسية إلزامية يدرسها التلاميذ كافة ، ولذلك تعد أداة هامة لتحقيق التواصل الفكري والتماسك الاجتماعي في المجتمع.
- تعد ال مدرسة من المؤسسات الرسمية التي توظفها الدولة في سبيل نشر القيم العليا التي تبتغيها للطلاب.
- أحتوائها للفرد مدة زمنية طويلة سواء أكان ذلك بالنسبة لليوم الدراسي أم بالنسبة للعام الدراسي ، فتؤثر و تعدل من سلوكه ، إضافة الى إكسابه المعلومات المختلفة التي تساعده في حياته .

تعد المدرسة من العوامل المهمة للقضاء على التناقض القيمي والصراع الثقافي بين افراد الشعب الواحد، وتزداد أهمية ها الدور خلال فترات التحول الأجتماعي والتغير الثقافي، حيث تنتقل المجتمعات من أوضاع اجتماعية مرتبطة بفكر و قيم و عوامل ضبط

[38]د. عبد العزيز محمد الحر، التربية والتنمية والنهضة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ،بيروت- لبنان، 2013، ص206.
[39]د. ابراهيم علاء الدين الشريف، أيديولوجية المواطنة، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان-الاردن، 2017، ص 131.
[40]د. ابراهيم علاء الدين الشريف، المصدر السابق نفسه ، ص 214.

معينة إلى قيم وفكر و عوامل ضبط جديدة تحتاج إلى الفرز للإنتقاء والاختيار من خلال الممارسة والتربية المدرسية وسيلة كل ذلك.[41]

ثالثا: أهمية المواد اللاصفية في صناعة الهوية الوطنية

مرحلة الطفولة اذن مرحلة لا تنسى ، بل هي سنوات ربما تحسم ما سنكون عليه في سنوات لاحقة . وكلنا نتذكر ايام طفولتنا وتلك الحوادث التي بدت بسيطة في حينها ولكنها تركت في نفوسنا الاثر الكبير. ولو ركزنا أكثر في ذكرياتنا المدرسية لوجدنا إن اكثر الدروس التي غرست في قلبنا و عقلنا حب الوطن والافتخار به هو درس التربية الرياضية ودرس النشيد والتربية الفنية . إذ إن مادة الرياضة او التربية البدنية رسخت في نفوسنا كيفية الوقوف باستقامة و بانتظام و احترام امام العلم ، وتلك الفرق التي شكلتها مدارسنا غرست بداخلنا ان العمل الجماعي يؤدي الى نتائج افضل بكثير من العمل الفردي . أما مادة التربية الفنية فقد ايقض بداخلنا الاحساس بجمال الاماكن التراثية والاثرية للبلد والتفنن في رسم خارطة الوطن ، بينما مادة النشيد اوجدت لدينا مشاعر مختلطة من الفخر والحماس والشجاعة كلها تتوجه نحو الوطن. ولاسيما اذا كان معلمي المواد الدراسية ممن يملكون الوعي والحرص الكافي للتعامل مع تلك المواضيع. ولذلك سنتعرف على أهمية تلك المواد بشكل أكاديمي ليكون لنا التصور الشامل لاهمتها في صناعة الهوية الوطنية داخل المدرسة:

1- مادة التربية البدنية

ان الغاية من التربية البدنية بمفهومها المدرسي هو التنشئة الاجتماعية للمواطن الصالح. وقد لخص ذلك في الميثاق الدولي للتربية البدنية والرياضة الصادر عن اليونسكو في الفصل الثاني بالعنوان (التربية البدنية والرياضة تمثلان الركن الاساسي الذي تقوم عليه التربية المستمرة في نظام التربية العام) ولذلك ينبغي أن يتم التعامل مع التربية البدنية أو الرياضة باعتبارهما بعدين اساسيين للتربية والثقافة لدى كل انسان، من ناحية تنمية الارادة و التحكم بالاهواء ،و اندماجه التام في مجتمعه، وعلى هذا الاساس ينبغي ان يتم ضمان استمرارية النشاط و ممارسة الرياضة طوال حياة الانسان وذلك بواسطة تربية شاملة ودائمة و معممة.[42]

[41] د. ابراهيم علاء الدين الشريف، المصدر السابق نفسه ، ص 221-222.
[42] د. امين الخولي ، مصدر سبق ذكره ، ص145- 146.

ويعتقد بوكوالتر(bookwalter) – مفكر التربية البدنية الامريكي– إن التربية البدنية والرياضية تقدم معملا فريدا متميزا لبث القيم الديموقراطية . على سبيل المثال الانشطة التطوعية والتي تعد شكلا من اشكال النشاط البدني مثل(قص حشائش الملعب و تركيب الاجهزة الرياضية او اقامة مخيم ...الخ) كونها تتيح فهما بسيطا لمعنى العمل الجماعي والتطوعي و تعمق الاتجاهات الايجابية نحوه،فليس كل ما يفعله الانسان لابد له من عائد مادي. و ممارسة القيادة في مجال التربية البدنية يتيح لاغلب المشاركين في الانشطة الرياضية ان يتعرضوا لخبرة ممارسة القيادة في موقف ما وايضا يتعرضون لموقف التبعية في موقف آخر. وفي مواقف القيادة يتحمل الفرد المسؤولية كاملة لا عن نفسه فقط وانما على الآخرين. وغالبا ما يتعرض لمواقف تحتم عليه ان يتذرع بالصبر وانكار الذات واعلاء الصالح العام للفريق.وفي مواقف التبعية يتعلم الفرد الالتزام بالمعايير الجمعية للفريق و يعمل في تعاون مع قيادته مدركا دورهو علاقته بادوار الاخرين. ومن خلال النشاط البدني والرياضي يتعرف الفرد على المعنى الحقيقي للديموقراطية لأن كل اللاعبين متساوون امام قواعد اللعب وامام الحكم، وكل منهم ينال فرص متساوية لتحقيق النصر. والاهم من كل ما سبق ان الفرد يكتسب من خلال الاعاب والرياضة الشعور بالانتماء الى جماعة اللعب او الفريق او النادي ، والانتماء متطلب اجتماعي و حاجة نفس اجتماعية لا ينبغي تجاهلها ، لان البديل هو الانسان اللامنتمي المغترب الذي لا يتفاعل مع مجتمعه ولا يعمل على النهوض به ، لأنه يفتقر الى مشاعر التوحد والانتساب العميق لهذا المجتمع ، و تبني الجماعة الصغيرة ممثلة في الفريق الرياضي اولى قواعد هذا الانتماء ،فهم يلتفون حول رموز هذا الفريق سواء كان رئيس الفريق أو شعار الفريق أو النادي أو حتى لون القميص الموحد الذي يرتدونه والذي يعبر عن توحد هويتهم وانتمائهم، وسرعان ما تتكون الوشائج والصلات الاجتماعية الداخلية بين اعضاء الفريق الواحد، والذي يجتمع على مشاعر موجة المنافسة الخارجية عبر مشاعر التوحد والتماسك، حيث يتم التواصل داخل الفريق من خلال المعطيات الثقافية والاجتماعية واخلاق وآداب، فتنمو مشاعر الاعتزاز بالهوية الجماعية و الوطنية والتي تتدرج من حب الفريق او النادي والتضحية في سبيله الى حب الوطن والذود عن ترابه.فضلا عن ان الرياضة ضرورية وحاجة مهمة من حاجات الانسان في سبيل تحرير الانسان من (غريزة العدوانية) التى اذا لم تجد متنفسا لها من خلال انشطة كالرياضة فانها تجد قنوات اخرى غالبا تنعكس بالاذى على المجتمع، ولهذا فان الرياضة بمنزلة صمامات آمان للمجتمع.[43]

[43]د. امين الخولي ، المصدر السابق نفسه، ص59 و 121-126.

2-مادة التربية الفنية

في حديث تربوي مع خالي مدرس التاريخ في احدى مدارس بغداد لم اكن اعرف كيف بدأت الجمل والعبارات تنطلق من لساني اثناءمحاولتي اقناعه باهمية الرسم والنحت وغيره من الفنون أذ تردد في قبول ابنته ودخولها لأكاديمية الفنون الجميلة.قلت له كل اختراع بدأ بالرسم ، الكتابة بدأت بالرسم ، البناء والمعمار بدأ بالرسم ،الاختراعات التي توالت عبر العصور ما هي الارسم في بداياتها ، فالرسم عالم معطاء ينقل الفكرة من خلايا الدماغ البشري الى الواقع الملموس ليراه الاخرون وينتفعون به ، واطال الله اعمار معلمات الرسم كيف تنقلو بنا في اجواء العراق من خلال حثهم لنا على رسم الاهوار مرة والملوية مرة والجبال والشلال و معالم العراق كافة مما جعلنا نلتف حول هذه الايقونات الوطنية قبل ان نراها بأعيينا لاحقا عندما كبرنا, ان عرض الصور عن اثار العراق و اماكنه و مشاريعة و الطلب منا رسمها حفزنا على حبها من دون ان نقصد ذلك.

يعد تحسين السلوك الانساني واخراج جيل واع يستطيع التعايش مع الظروف التي يعيش فيها و يكون فردا صالح في المجتمع الهدف الاساس من العملية التربوية ،والعلم الذي يعطى للطلاب ، ومادة التربية الفنية من المواد المهمة التي تكسب الطلبة المعرفة بجمال الوطن ، وتشمل ليس الرسم فقط بل الموسيقى والتصميم ،ولكن للاسف يعتقد البعض انها غير مهمة و مضيعة للوقت ، ولا تستغل بالشكل الصحيح لصالح الطال والمجتمع.[44]

اما الموسيقى فهي كما يقال غذاء الروح ، إذ تميل الطبيعة البشرية الى ترسيخ قضايا محددة و نشرها من خلال تلحين الفكرة بشكل تطيب له القلوب و تعمل على نشر الافكار و حفظها من خلال تلحينها ، كذلك التلاميذ الصغار ، فحب الوطن والتغني بامجاده صغيرا تجعله يحبه كبيرا.

وقال الشاعر العربي الكبير جبران خليل جبران بان الموسيقى ليست لغة العواطف وانما لغة لكل من الفهم والفكر ايضا، واكد علم النفس الحديث على اهمية الموسيقى في توجيه الفرد نحو السلوك الجيد.[45]

[44]د.عائشة محمد فتح الله درويش (1996)، "تطور مفهوم التربية الفنية وتأثيره على تعليم الرسم "، www.qspace.qu.edu، اطلع عليه بتاريخ 2018/6/6. بتصرّف

[45]غادة الحلايقة ،اهمية الموسيقى في حياة الانسان،مقال منشور على موقع "موضوع" على شبكة الانترنت ، 2018/9/3 ،https://mawdoo3.com/) بتصرف.

الخاتمة والاستنتاجات

من المواد الاجتماعية التي كانت متخصصة ببناء الهوية الوطنية العراقية في مدارس العراق جميعها مادة التربية الوطنية التي كانت تدرس في كتاب منفصل مخصص لها ، وعلى الرغم من إن البعض كان يعتقد انها مادة ثقيلة على الطلبة الا انها و بطريقة أو أخرى أسست في عقول الصغار الهوية الوطنية العراقية ورسخت الاعتزاز بها و عدها من المسلمات الايجابية التي يعتنقها التلاميذ ، الا نهة تم دمجها بعد عام 2008 ضمن المواد الاجتماعية الاخرى(الجغرافية والتاريخ) تحت مسمى (مادة الاجتماعيات) .

وبعد أن اختفى درس التربية البدنية والنشيد والتربية الفنية تقريبا على ارض واقع مدارس العراق ، بحجة توفير وقت اكبر للمواد العلمية (العلوم واللغة العربية للمرحلة الابتدائية و الرياضيات الفيزياء والكيمياء واللغة الانكليزية للمرحلة الاعدادية) ، ومع كثرة وجود الفضائيات المنحازة لجهات تمويلها و النشاطات السياسية المشتتة المشارب سيكون من الصعب جدا للمدرسة في العراق أن تؤدي دورها في صناعة الشعور بالهوية الوطنية لدى النشأ الجديد في كل انحاء العراق ولاسيما في محافظات الاقليم إذ انقطعت العلاقة تماما بين مدارس محافظات الاقليم و بقية مدارس محافظات العراق، ويعمل السياسين في الاقليم بشكل متواصل على قطع اي علاقة بين المركز والاقليم .

لذا فقدت الاجيال الناشئة شعورها بالهوية الوطنية بعد ان اصبحت المدرسة غيرقادرة على فعل شيئ امام سيول الهويات الثانوية التي بدت اقوى من الهوية الوطنية الجامعة التي تضم العراقيين كلهم ، إذ تحاول كل قومية و طائفة سحب ولاء الجيل الجديد اليها مبتعدين بهم عن الوطن الجامع الواحد .كل ذلك مهد الى تشتت كامل في الانتماءات والولاءات لدى الجيل الجديد الذي نعول عليه في بناء البلد و بالتالي تقبل فكرة التقسيم التي تلوح للافق بين الحين والاخر على لسان الولايات المتحدة الامريكية أوجهات غربية اخرى تارة و على لسان بعض الاحزاب السياسية العراقية تارة اخرى.

العودة لتفعيل درس التربية الرياضية والنشيد والفنية مع العناية بجمالية و نظافة المدرسة ومنح الطلبة فرصة للاحساس ببعضهم البعض و الاحساس بوطنهم الجامع من خلال نشاطات تلك المواد الدراسية شرط لابد من تحقيقه للحد من حالة تشتت الولاءات وضعف الشعور بالوحدة الوطنية والهوية الوطنية الجامعة

المصادر

1- د.عامر حسن فياض، الثقافة السياسية ومشكلة الديمقراطية في الوطن العربي، آفاق عربية، آذار، 1992.

2- أمل محمد معطي، التنشئة والتحولات الاجتماعية: أنموذج ميداني عن منظمة الطلائع في القطر العربي السوري، رسالة ماجستير، شعبة علم الاجتماع، قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1987-1988.

3- صموئيل ب. هنتنغتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، ترجمة: حسام الدين خضور، ط1، دار الرأي للنشر، دمشق، 2005.

4- حبيب صالح مهدي، دراسة في مفهوم الهوية، مجلة دراسات اقليمية، العدد (13)، الموصل، مركز الدراسات الاقليمية، 2009.

5- اليكسي ميكشللي، الهوية، ترجمة: علي وطفة، ط1، دار الرسيم للخدمات الطباعية، سوريا، 1993.

6- د.علي عباس مراد، اشكالية الهوية في العراق..الاصول والحلول، (الندوة العلمية لجامعة بغداد – التعليم وتعزيز الهوية الوطنية في العراق)، 17 شباط 2010.

7- سامي أبراهيم الخزندار ، إدارة الصراعات و فض المنازعات: إطار نظري،(مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة – قطر)، الطبعة الإولى ، 2014 .

8- حسن فيصل الخالدي، في معنى الهوية، شبكة الانترنت: http://www.alukah.net/Culture/0/35514/#ixzz1pUhtTnP2

9- – ندى عبد المجيد الانصاري، سياسة التعليم لتعزيز الهوية الوطنية في العراق، الندوة العلمية لجامعة بغداد، 17 شباط 2010.

10- اسراء علاء الدين نوري، الاسباب الداخلية لازمة الهوية الوطنية في العراق، مجلة شؤون عراقية، العدد (4)، بغداد : مركز الدراسات القانونية والسياسية، 2009.

11- عبد الله السيد ولد اباه، المواطنة في عصر ما بعد الدولة الوطنية، مفهوم المواطنة الدستورية لدى هابرماس، مجلة التسامح (مسقط9، العدد 20، خريف 2007.

12- علي طاهر الحمود ، العراق من صدمة الهوية الى صحوة الهويات، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والاعلامية، ط1، بغداد – بيروت، 2012.

13- جعفر الشيخ ادريس، في الهوية والمواطنة، مجلة البيان، العدد 211، نيسان ابريل 2005.

14- د. محمد جواد رضا ، العرب والتربية الحضارية دراسة في الفكر التربوي المقارن ، الكويت ، مكتبة المنهل ,ط1979،1.

15- امين الخولي، الرياضة والمجتمع ، مهرجان القراءة للجميع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جمهورية مصر العربية، 2002.

16- علي وتوت، في سؤال الهوية ..عراق واحد عن اي جنون نتحدث ؟، مصدر سابق، ص ص31-32.وعبد اللطيف احمد رشيد، التجنيد والخدمة الالزامية دليل للمواطنة الصادقة، مجلة نداء الحرية، العدد(3)، بغداد : مركز نداء الحرية للتطوير والتنمية البشرية، 2007.

17- مارتن فان بروينسن ، الأكراد وبناء الأمة ، ترجمة فالح عبد الجبار ، العراق –بغداد، معهد الدراسات الإستاتيجية ، الطبعة الأولى ، 2006 .

18- د. عبد السلام ابراهيم البغدادي , الوحدة الوطنية و مشكلة الاقليات في افريقيا , بيروت– لبنان , مركز دراسات الوحدة العربية , ط 2 ، 2000.

19- ميل دور كايم ، التربية الاخلاقية ، ترجمة السيد محمد بدوي، مراجعة علي عبد الواحد وافي، تقديم محمد الجوهري،مصر– القاهرة، المركز القومي للترجمة،سلسلة ميراث الترجمة، العدد2015،1886.

20- د. ابراهيم علاء الدين الشريف، أيديولوجية المواطنة ، عمان- الأردن، دار غيداء للطباعة والنشر، 2017.
21- علي اسعد وطفة ، التربية إزاء التحديات / التعصب والعنف في العالم العربي ، دولة الامارات العربية المتحدة، - ابو ظبي، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط2002،1.
22- المشروع الإستراتيجي التعليم في العراق ، المشرف العام د. شمران العجيلي، أعداد د. كريم محمد حمزة،العراق - بغداد ، بيت الحكمة ، الطبعة الأولى ،2011 .
23- فلاح حسن الأسدي ، أثر المناهج التربوية في تعزيز قيمة المواطنة و تشكيل الهوية الوطنية العراقية ، في مؤتمر بيت الحكمة العلمي السنوي ؛بناء الدولة، (العراق - بغداد ، بيت الحكمة ، 18 - 19 كانون الثاني ،2012.
24- لقاء مع الدكتور مجيد صادق العلاق مدير عام المناهج في وزارة التربية ، 2015/9/1.
25- امين الخولي، الرياضة والمجتمع ، مهرجان القراءة للجميع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جمهورية مصر العربية، 2002.
26- د. عبد العزيز محمد الحر، التربية والتنمية والنهضة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت- لبنان، 2013.
27- د. ابراهيم علاء الدين الشريف، أيديولوجية المواطنة، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان-الاردن، 2017.
28- د.عائشة محمد فتح الله درويش (1996)، "تطور مفهوم التربية الفنية وتأثيره على تعليم الرسم "، www.qspace.qu.edu، اطّلع عليه بتاريخ 2018/6/6. بتصرّف.
29- غادة الحلايقة ،اهمية الموسيقى في حياة الانسان،مقال منشور على موقع "موضوع" على شبكة الانترنت، https://mawdoo3.com/ ، 2018/9/3) بتصرف.
30- عبد الحسين شعبان، عبد الحسين شعبان ، المسيحيون: ملح العرب التغيير والمواطنة والتنوع الثقافي، ضفاف، بيروت ، 2013.
31- سعدي الابراهيم ، الفدرالية والهوية الوطنية العراقية ، بغداد ، دار الكتب العلمية، 2014.